

المقاربة السيميائية لقصة "حي بن يقظان" لابن سينا

د. حورية منصوري

جامعة مولود معمري - تيزي وزو

mh582008@hotmail.com

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإرسال
2018-06-26	2018-06-17	2018-06-17

ملخص البحث

عرفت المناهج النقدية في ميدان العلوم والمعارف، بداية من القرن الماضي إلى يومنا هذا، موجه من الطروحات زعزت الكثير من قناعات الباحثين ودفعتهم إلى إعادة النظر في أدواتهم التحليلية، وفي طرق مقارباتهم، وتعاملهم مع مختلف الخطابات الفلسفية وغير الفلسفية. وغدت نظريات اللسانيات، والسيميائيات، وتحليل الخطاب، وعلوم اللغة بصورة عامة تفرض نفسها على أغلبية الدارسين في مختلف التخصصات والمجالات وتسطر أهدافا من بينها إثبات مصداقية الرهانات الحقيقية لبلورة منهجية سديدة لإعادة قراءة النصوص القديمة مثل قصة "حي بن يقظان لابن سينا" التي تم اختيارها من أجل استيعابها على ضوء المناهج النقدية واللغوية الحديثة دون اللجوء إلى العرض المستفيض لمضامينها من حيث تراكيبها المنهجية وآلياتها التحليلية فذاك أمر يتجاوز حدود هذه الصفحات. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المقاربة المنهجية الحداثية لا تبعدنا من الحاجة إلى التراث على اختلاف مشاربه ومصباته لتحديد مختلف الرؤى وضبط الأصول الإستمائية للمنهج في إطار الدرس السيميائي والفلسفي.

الكلمات المفتاحية: حي، ابن سينا، سيمياء، فلسفة، علامة، معنى، تضاد، رمز

Résumé

Le but de ce travail est de mettre en valeur l'importance de la notion de méthode dans l'analyse des récits philosophiques. Il s'agit de dégager les principaux axes de l'analyse sémiotique qui atteste à la fois de la nécessité de la pluralité des visions épistémiques et méthodologiques dans la quête du sens et de l'esthétique du discours relatant le statut de la fiction du « roman philosophique », avec tous les dispositifs socio-culturels qui ont engendré l'œuvre d'Ibn Sina et ont influé sur son verbe. Ces grandes questions ont motivé notre recherche. Elles se résument comme suit :

- 1- A quels degrés peut-on instrumentaliser la méthode sémiotique dans l'analyse des textes à caractère philosophique (récit de Hayy ben yaqhdhan d'Ibn Sina).
- 2- De quelle(s) manière(s) les méthodes d'analyse et de critique contemporaines parviennent-elles à comprendre et à interpréter les textes anciens ? Quelles relations ? Quelles interactions ? Quel dialogue ?

Cette problématique, de par son énoncé, se veut au carrefour des genres littéraire et philosophique d'une part, et des différentes disciplines telles que la linguistique, la symbolique, la mystique... dans leur structure, leur signification, leur signe et leur sens d'autre part. Elle cherche à analyser les apports réciproques à l'analyse du discours aux sciences humaines et sociales et plus précisément à la philosophie et/ou à la philosophie du langage en étudiant la façon dont l'analyse du discours mobilise les outils épistémiques et langagiers parce qu'il est important de comprendre à quel(s) modèle(s) précis cette méthode sémiotique se réfère tout en gardant une spécificité des textes philosophiques et une dimension extensive et universelle –avancée par Ibn Sina- de l'approche triptyque de l'Homme dans son rapport avec lui-même, avec son environnement et avec l'Au-delà.

Les concepts clés : Hayy, IbnSina , sémiotique, philosophie, signe, sens, ambivalence, symbole.

شهد النقد عامة و النقد العربي المعاصر على وجه الخصوص تحولات عميقة في العقود الأخيرة من القرن العشرين، وهذا لما أحدثته المناهج الجديدة من تغيير في طرق مساءلة النصوص القديمة و الحديثة باعتبارها آليات للبحوث الإجرائية التي أقل ما يقال عنها أنها الأسلوب الذي يستطيع الباحث من خلاله التصدي للمشاكل التي تقلل من فاعلية الفحص والأداء، و تبسط نشاط القراءة و الفهم. و تعتبر القواعد الإجرائية المتحركة في الجهاز المفاهيمي من أجل مقارنة قصة "حي" لابن سينا. إن إعادة قراءتها بالمنهجية السيميائية تساعدنا على اكتشاف خصوصيات البناء السردى للخطاب السيناوي على مستويات عدة مندرجة ضمن نظريات تحليل الخطاب عامة وتحليل الجهاز المفاهيمي الرمزي والعلاماتي على زجه الخصوص. و هي مستويات متكاملة و يرتبط بعضها ببعض الآخر. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: مستوى أفعال الكلام، مستوى الاستعارة، مستوى الإقناع، مستوى الفهم وبناء المعنى، مستوى الدلالة (مضمون المحتوى وشكل المحتوى)، مستوى الرمز والعلامة، مستوى الشخصيات، مستوى الثنائيات المتقابلة أو المزدوجة المعني "les dualités ambivalentes... نحاول أن نتطرق إلى البعض منها لأنه يتعذر ذكرها جميعا.

و من هذا المنظور، نحن بحاجة لأن نتوخى بُعد النظر من خلال عملية مقارنة قصة "حي بن يقظان" لابن سينا، للوصول إلى تحقيق الأهداف المرجوة تتمثل في تسطير الخطوط العريضة لبحث نستخدم فيه مقولات وإبستي حديثة تمكننا من تحري ميدانا جديدا في المناهج النقدية الحديثة، ألا وهو المنهج السيميائي. وهذا العمل غير نابع من وقع الموضوعة التي غالبا ما يتركها سحر ورمزية كلمة "سيمياء" في الأذهان، تستقطب الاندفاع الآلي والميل إلى استعمال طرق فرضتها "سياسات وإيديولوجيات" الحداثة في مختلف مجالات الفكر، وإنما هو نابع من أسئلة حسيمة ومحيرة في نفس الوقت لما تحمله من إشكالات وتعقيدات طالما طرحها كل واحد منا، الأمر الذي جعل جاك فونتاني أحد تلامذة مؤسس السيميائيات البنيوية انطلاقا من لسانيات فردينان دي سوسير أ.ج. غريماس A.J Greimas يقول: "[...] إعطاء إمكانية إعادة القراءة والاستغلال الحر للأعمال اعتبرناها منتمية إلى عهد آخر [...] بالإجمال تحديثها (en somme les actualiser) [...] و نتناول هذه القراءات الجديدة بعيدا عن ضغط آثار المودا la pression des effets de mode¹ و هو نابع أيضا من توجه معرفي نقدي يمس أنواعا عديدة من الخطابات في مراحلها التاريخية المختلفة منذ الفكر اليوناني إلى الفكر الحديث والمعاصر، مروراً بالمرحلة الوسيطية للفلسفتين الإسلامية والمسيحية. و من

هذه الفترة الأخيرة بالذات وقع اختيارنا على قصة أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا في أسرار الحكمة الشرقية.^{2*}

يقوم هذا المقال على فرضية مفادها أن ثمة عدة طرق لتحليل الخطاب عامة، والخطاب الفلسفي على وجه الخصوص، والأسئلة كثيرة تتعلق بإمكانية استثمار مختلف الميكانيزمات المنهجية وتوجيه البحث نحو انتقائية تراعي فيها خصائص "العقلية العلمية" القادرة على تقديم قراءة نقدية سيميائية لأهم الآليات التي أفاض الحديث عنها أشهر وأبرز السيميائيين ومنظري تحليل الخطاب وبلورة مواقف من قبيل ما يمكن تسميته بالمقاربة السيميائية - الفلسفية التي تهدف إلى إبراز عنصرين: استراتيجية التواصل واستراتيجية الإقناع. يقول ج. كورتاس J.Courtés "النقاش حول هذا الموضوع طويل وعريض، وكل العلوم الإنسانية لها ما تقوله في هذا الشأن."³ وبالإضافة إلى هذا ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار عدة صعوبات نذكر على سبيل المثال لا الحصر، صعوبة ضبط موضوع المادة اللغوية والسيميائية الموجودة في القصة المختارة مقارنة بالمادة الفلسفية من أجل تفادي الالتباس والغموض. هذا من جهة، ومن جهة أخرى صعوبة ترجمة مصطلحات علوم اللغة والسيميائية الحديثة وتطبيق قواعد الدرس السيميائي على النص الفلسفي على وجه الخصوص. يقول الأستاذ الدكتور رشيد بن مالك: "ولما كان الدرس السيميائي في البلدان العربية يخطو خطوات بطيئة جدا منذ ظهور تباشيره الأولى في بداية الثمانينيات بفعل المعارضة الشرسة التي تلقاها، فإن هذا أثر سلبا في طبيعة التعامل مع الإنجاز السيميائية الراهنة التي لم تظهر إلى الوجود دفعة واحدة بل خضعت إلى حوار معمق جدا بتجربة أ.ج غريماس مع المفردات الثيائية خلال صحف موضة 1830، والأعمال المشتركة التي أنجزها مع جورج ماتوري ومرورا براهنية السوسيرية والدلالية البنيوية والنتائج العلمية المحققة عند سيميائي الجيل الأول والثاني وانتهاء بالتفكير في ضرورة توحيد الجهود العلمية بعد وفاة غريماس."⁴ كما تجدر الإشارة إلى قلة الدراسات المتخصصة في مجالات ما يمكن تسميتها "بفلسفة اللسانيات"، و"فلسفة السيميائية" التي اكتنفها الغموض في بعض القضايا، مما سبب صعوبة في التحليل وفي التطبيق خصوصا على النص الذي اخترناه، وذلك لكثرة تداخل واختلاف زوايا النظر فيها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لاحظنا الكثير من الدراسات التي دارت حول جوانب من موضوعنا، كانت في المصادر الأجنبية (خاصة الفرنسية) وقليل منها في المصادر العربية، مما استلزم جهدا كبيرا للتمكن من استثمار ما يمكن استثماره لصالح هذا العمل.

يمكن دراسة قصة "حي بن يقظان" من مستويات عدة- لا يسع المجال لذكرها جميعا هنا- نركز على مستوى التحليل السيميائي بتمثل شبكتين مفاهيميتين تركيبيتين هما: الشبكة المفاهيمية التركيبية تخص (الشكل)، و الشبكة المفاهيمية التركيبية تخص (المضمون).⁵ هذا، بالإضافة إلى تحاليل أخرى مثل التحليل الثلاثي الذي ركز عليه أغلب الباحثين في السيميائية بهدف توضيح الشبكتين المفاهيميتين السابقتين، و هي دراسة: شكل محتوى الخطاب، وجوهر مضمون الخطاب، والوظيفة الإيديولوجية للخطاب.⁶

إن مجموع هذه الطروحات والفرضيات هي التي تمكننا من صياغة إشكالية موضوع هذا المقال الذي يتمحور حول إمكانية القراءة السيميائية لقصة حي بن يقظان لابن سينا وكيفية توظيف نظريات وأسس معرفية ومناهج واصطلاحات علمية نستعيرها من علم السيميائية ضمن منظومة فكرية وابستمي سادت في القرن الحادي عشر في

الغرب الإسلامي، هذا من جهة، و من جهة أخرى تحيلنا إلى إثارة بعض الإشكالات التي بحث فيها دونيس برتراند Denis Bertrand عند إقباله على دراسة إشكالية القراءة يقول: " ماذا نفعل عندما نكتب أو نقرأ؟ [...] ونتساءل عن الأسس النظرية والمنهجية لسيميائية القراءة [...] وهذه التسؤلات تحيلنا إلى التساؤل الهام عن السيرورات النفسية- المعرفية (psycho-cognitifs) للقراءة كما تظهر على أرض الواقع [...] إن النظرية السيميائية، التي تعد في مفترق الطرق البحثية، قوية نظرا لازدواجية أصلها: لساني و انتروبولوجي، وتبدو لنا مسلحة لتوضيح وشرح الأنماط الاستنتاجية (les schèmes inférentiels) التي يستخدمها كل قارئ متمكن لتنظيم، وتنشيط، ووضع اللمسات الأخيرة للنص الذي يقرأه." ⁷

المقاربات السيميائية لحي بن يقظان لابن سينا:

يعتبر الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن سينا (370هـ/980م - 428هـ/1037م) إحدى الشخصيات البارزة في تاريخ الفلسفة الإسلامية، ولحظة من لحظاتها الأساسية و" تأثيره كان عظيما ولا يمكن تصور وجود الفكر العربي في القرون الوسطى دون الاطلاع على فكره" ⁸. ترك ابن سينا إرثا علميا واسعا شمل الحقول المعرفية المختلفة، ومن بين هذا الثراء الكثيف نجد "حي بن يقظان" الذي يعد - في بعض جوانبه - اقتباسا من أفلاطون، وفي بعضه الآخر اقتباسا من طابع الديانات الشرقية، وملخصها "أن النفوس الجزئية بما في ذلك نفس الإنسان- قد انبثقت وصدرت عن نفس العالم، وكلما بعدت عن مركزها ومصدرها، كثرت كدراتها، وازدادت ظلماتها لقرنها من مادة هذا العالم المظلمة. كتب ابن سينا قصته في السجن ووسمها "حي بن يقظان". وهي واحدة من بين القصص الرمزية الكثيرة مثل: قصيدة النفس، رسالة الطير، سلامان وأبسال) وأغلبها يندرج في مفهومية الحكمة المشرقية، "معتمدا على أسلوب المجاز والتشبيه، فألبس الحقائق الفلسفية ثوبا شعريا خياليا..." ⁹ يقول ابن أبي أصيبعة: "... وهو إن كان أشهر من أن يذكر، وفضائله أظهر من أن تسطر، فإنه قد ذكر من أحواله ، ووصف من سيرته ما يغني غيره عن وصفه، ولذلك إننا نقتصر من ذلك على ما قد ذكره هو عن نفسه، نقله عنه أبو عبيد الجوزجاني" ¹⁰

ولما كان علينا أن نقتصر على نظرة إجمالية موجزة عن ابن سينا، فسوف نقتصر كلامنا في هذا المقام، على الإلمام ببعض المسائل التي تبرز فيها أصالة ابن سينا كمفكر فلسفي تبوأ مكانة في تاريخ العلوم والفلسفة لا يدانيه فيها إلا القلة من العلماء، إنها مسائل تساعدنا، لا محالة، على فهم التحديدات السيميائية لمجموع القضايا التي نصبو إلى بلورتها بتقصي وكشف المنحي العام لفكره، وقاعدته الإبستمولوجية، ومضمونه الإيديولوجي من خلال المفاهيم المحتواة في بعض نظرياته باعتبارها مكملات لمؤلفاته القصصية، والنظر إليها في ضوء جهود اللسانيين المحدثين. وما يمكننا قوله أن معظم الدراسات التي تناولت "حي" ابن سينا تتفق على جفاف، وتعقيد، وتجريد الأسلوب المستخدم، يشتمل على قدر من المفردات ذات الصياغة الغريبة التي لا تفهم مباشرة، لكن سرعان ما دخلنا بقوة في النص لنرقى إلى البنية الأولية التي استقرت عليها لغة قصته الفلسفية الرمزية. وقد نوه الأستاذ رشيد بن مالك بهذه الفكرة المميزة قال: "النص إذا بدا غامضا وصعب الإدراك على القارئ، فإن ذلك راجع إلى قصور الأدوات النقدية واضطراب الكفاءة العلمية الجديرة بالتأسيس لقراءة تأخذ في الحسبان تنوع المنظورات التي تسخر لتأويل

ظاهرة نصية معطاة.¹¹ هذا و نخلص إلى فكرة أن المعاني بخاصة المجردة منها يصعب علينا تجسيدنا بدون العلامات اللغوية. وعليه فإن صعوبة نقلها إلى الآخرين يكون أصعب بكثير، يقول دي سوسير: "إن تفكيرنا من الناحية النفسية - إذا أغفلنا التفكير عنه بالكلمات - ما هو إلا كتلة غير متميزة لا شكل لها. واتفق الفلاسفة و اللسانيون على أنه لولا الاستعانة بالعلامات اللغوية لكنا عاجزين عن التمييز بين فكرتين تمييزا واضحا".¹² و التمييز يبرز بصفة أكثر وضوح إذا تم بناء على تحديدات، نقدم البعض منها:

1- التحديدات على مستوى سيميائية الثنائيات: كانت هذه التحديدات الثنائية محل جدل لأن طبيعة التركيب الزوجي أصيلة وهامة في الجهاز المفاهيمي السينوي، و وتزخر القصة ببنية قائمة على الصراع بين القيم، فثنائية القيم التي يسميها جاك فونتاني "البناءات الزوجية"¹³ Les structures binaires تقوم على التعارض بين مجالين دلاليين متضادين ينتجان معنى من المعاني، والمعنى يتشكل ويتضح حسب قريماس "من خلال تعارضه مع الضد"¹⁴ وقد اعتمد على المربع السيميائي carré sémiotique - الذي نرجع إليه في الصفحات الموالية - لتجسيد المعنى و "تحليل الأشكال المعقدة للوصول إلى عناصر بسيطة"¹⁵، فهو طرح يفترض وجود بنية تقابل ثنائي في النص، وفي نص ابن سينا بالذات تتعدد وتتعدد التقابلات نظرا لارتباطها بقيم دينية، وإيديولوجية، وسياسية... وتأسيسا على هذا نجد أن خطاب بن سينا يتمفصل على ثنائيات أساسية تخترق النص وتعطيه التجانس الدلالي، أهمها: الحياة ~ الموت؛ العامة ~ الخاصة، عالم المادة ~ عالم المعنى؛ الأنا ~ الأنثى؛ الروح ~ الجسد؛ العالم العلوي ~ العالم السفلي؛ العقلاني ~ اللاعقلاني؛ اللوقوس ~ الميتوس؛ الانعزال ~ الاجتماع... الخ، إن دراستها في النص هو النظر إلى الأنموذجات التي استخدمت مخزوننا من التقابلات الدلالية التي تبدأ بالعنوان نفسه في إطار ما يسمى "سيميائية العنوان" يمكن أن نقر أن "حي بن يقظان" يقابل "الميت بن النائم"، وفي الأمثلة التي سوف نختارها نجد فيها مفاهيم تطلعنا على سيميائية الثنائيات ذات الأنساق المزدوجة المعنى، والمرتبطة بمفهوم التضاد opposition بشكله الأساسي: التناقض والتعارض contradiction et contrariété، هو واحد من أقدم مكتسبات وإنجازات المنطق التي صاغها أرسطو بناء على تحليل قضايا الخطاب، والجدير بالذكر أنه لا يثبت الضد إلا بوجود المضاد له، فلو لم يكن البياض لما استدللنا على وجود السواد، ولولا الموت لما قدرنا الحياة، وبغياب النهار لا يمكن معرفة الليل... الخ، فهما متلازمان في عملية وجودهما لكنهما يدلان على وضع شيئين متضادين. يعرف أ. لالاند التناقض على أساس أنه:

أ- علاقة قائمة بين الإثبات والنفي لعنصر معرفي واحد.

ب- سمة حد أو قضية تجمع عناصر متمانعة (متضادة أو متناقضة)

ج- حالة العقل الذي يقرر تناقضا...

د- فعل النقض، "فكر متناقض" [...] "اعتبر الجرجاني" التناقض اختلاف القضيتين بالإيجاب و السلب، بحيث يقتضي لذاته صدق إحدهما وكذب الأخرى."¹⁷

و من المعلوم أن لظاهرة التضاد في قصة "حي" دلالة سيميائية كونها تثير حركية في النص وتخلق تفاعلا في معاني الكلمات، وتطورا في الأحداث، وتميزا في الشخصيات... وهي عناصر تحقق مجتمعة معنى الرسالة. وفي هذا الموضوع

يرى جون بول شارني أن حتى طب ابن سينا مبني على أساس تفرعات ثنائية dichotomie بداية من مكونات عالم الكون والفساد وعناصره الأربعة.

هذا الكم الهائل من النظريات يمكن قراءته كبناء بمفهوم تزفيتان تودوروف Tzvetan Todorov¹⁸ الذي اقترح مخططا يأخذ بعين الاعتبار فضائين اثنين:

أ- فضاء الكتاب ذاته l'univers du livre

ب- فضاء الكتاب الذي تم تحويله من طرف نفسية psyché كل قارئ، ويظهر المخطط كالتالي:



ومهمته هي الارتقاء إلى أعلى درجات التعقل للاقتراب من معرفة الموجودات، وهذه المعرفة لا يمكن أن تتأتى إلا بممارسة علم الفراسة (أي المنطق)²³ الذي يملك سلطة على مجموع القوى- التي سبق ذكرها- قدم ابن سينا صورا متباينة لمختلف أشخاصه لأن الصورة هي أهم علامة يقوم عليها النص الرمزي وما يحمله من مجازات، و تخيلات، و تأويلات.

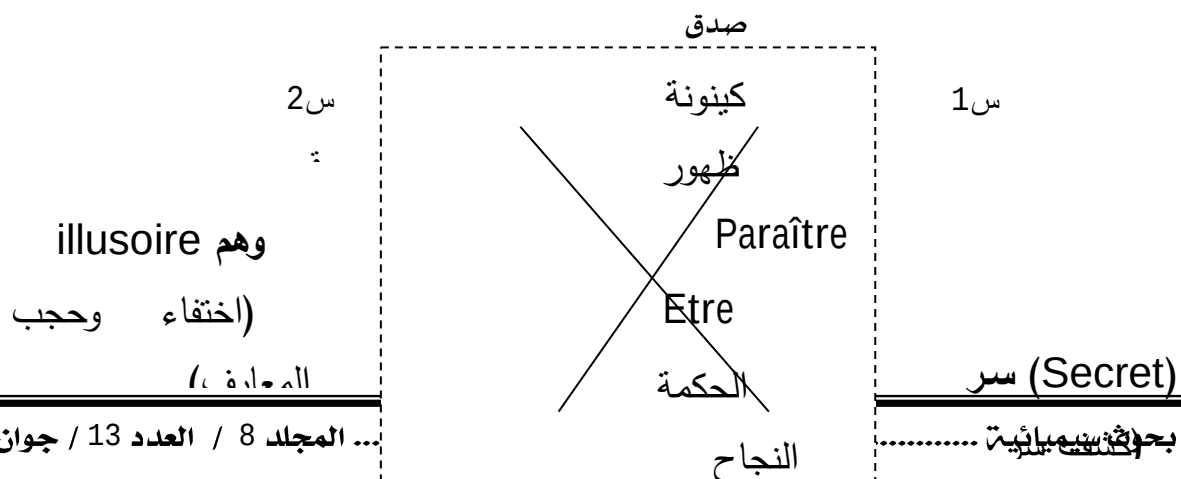
ج- تحديدات لإيجاد ملاءمة: بين الدال والمدلول، بالإضافة إلى فك سر اللغة الرمزية التي منحت هذا التركيب النصي أدبيته وحكايته الكامنة في العلاقة المتلازمة بين الشكل والمضمون من خلال الكتابة القصصية الرمزية، أي ربط الصلة بين اللفظ الظاهر والمعني الباطني، لغرض تحديد "الموضوع السيميائي" l'objet sémiotique كما يسميه ج. كورتاس²⁴

د- تحديدات لضبط الإتجاه التعبيري والإتجاه النموذجي*

- اتجاه التركيب التعبيري (النسقي) syntagmatique: وهو "صياغة مطابقة للخط الذي ترسمه الحالات و التغيرات التي تنتج عن تتابع وقوع الأحداث"²⁵ ويمكننا أن نذكر بعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر، يقول ابن سينا "[...] إذ عنّ لنا شيخ بهي [...] وأخذت عليه السنون وهو في طرأة العز [...] وما عليه من المشيب"²⁶ وفي صدد الكلام عن علم الفراسة يقول: "وإن علم الفراسة لتدل منك على عفو من الحقائق، ومنتقش من الطين وموات من الطبائع [...]"²⁷ ويقول أيضا: "[...] فهذا إقليم خراب سبغ مشحون بالفتن والهيج والخصام والهوج"²⁸ ثم يضيف "[...] وتتعداه إلى إقليم يجتمع لك ما سلف ذكره إلى أنواع الحيوانات العجم شاحبها، وزاحفها، ودراجها، ومدومها، ومتولداتها."²⁹

- اتجاه التركيب النموذجي (الاستدلالي) paradigmatic: يعد "طريقة لتقييم الوحدات الملائمة للسردية"³⁰ وفي هذا الاتجاه نذكر قول ابن سينا "وهذا الذي عن يمينك كأنه نار في حطب، أو سبل في صبيب، أو قرم مغتلم أو سبع تأكل"³¹ وقوله "[...] وهم أمة بررة لا تجيب داعية نهم أو قرم أو غلمة أو ظلم أو حسد أو كسل."³² إذا أمعنا النظر في هذين الاتجاهين نلاحظ أنها يمثلان موقفين يساعدان على تفسير معاني الوجود والمعرفة. و يعد مشوار "حي" في كل مساره و تساؤلاته هو البحث في خضم دوائر الأفعال المعرفية les sphères des actions cognitives التي توصف نهايتها إما بالتصديق أو بالتكذيب.

مثل جاك كورتاس هذه الفكرة بالمخطط التالي يسميه النموذج التأسيسي³³: وقد استخدمه في الدراسات السيميائية في قصص مختلفة مثل قصة سونديون لشارل بيرو³⁴ C.Perrault وفي قصة "حي" تظهر على الشكل التالي:



لا س1

بطلان

لا س2

وفي إطار علاقات ثلاث :

أ-علاقات تناقض..... relation de contradiction (س1- لا س1 ، س2- لا س2)

ب-علاقات تضاد..... relation hiérarchique d'opposition (لا س) و (لا س1 ولا س2)

ج-علاقات تضمين relation d'implication (لا س1 س2 ولا س2 س1) ← ←

هذه العلاقات تشكل ثلاثة أبعاد:

أ - المحاور axes : س1 - س2 و لا س2 - لا س1

ب- الخططات schémas : س1- لا س1 (خطاطة 1)

س2- لا س2 (خطاطة 2)

ج- الإشارة deixis: مصطلح مستخدم في اللسانيات، وهو من أصل يوناني يعني عملية الإظهار أو إبراز action de montrer

س1- لا س2 وس2- لا س1. ³⁵ وهذا الطرح حاولنا تجسيده في قصة "حي بن يقظان" لابن سينا في بحثه عن المعرفة وعن الخلاص. ولفهم هذه المواقف - عند هذا المستوى من التحليل - ينبغي الإشارة إلى نقطتين أساسيتين :

أولاً: نشير أن هذه الخطاطة مستنتجة من إحدى النظريات السيميائية العديدة التي تناولتها السيميائية التطبيقية (وهي المسالك الإثنى عشر كما سطرها لويس هيربرت) ³⁶ نحاول أن نتطرق إلى البعض منها، وعلى سبيل المثال لا الحصر: المربع التصديقي والمربع السيميائي.

أ -المربع التصديقي carré véridictoire هو مربع سيميائي لكنه قائم على التقابل القائم بين الكينونة / والظهور. وهو يدرس دينامية أساليب الصواب / البطلان في إنتاج سيميائي ما، خاصة في النص. وعوامله الأساسية هي :

1-الذات المقيّمة sujet évaluateur (حي بن يقظان)

2-الموضوع المقيّم : objet évalué (الحكمة أو المعرفة)

3-خاصية أساسية مقيّمة في هذا الموضوع: (معرفة واجب الوجود وطرق الاتصال)

4-طرق مصداقيتها: (الصواب: الكينونة+الظهور) ؛ (البطلان: لا كينونة+لا ظهور) (الوهم: الظهور+ لا كينونة) ؛ (السر: الكينونة + لا ظهور).

و إذا تأملنا "حي" بن سينا فإننا نستطيع تطبيق هذا العامل الرابع، فنجد مثلاً أن عند خروج البطل "حي" (أي النفس) مع الرفقاء (أي الشهوات) فإنه تحول من [ظهور+لا كينونة] (وهم أو كذب) إلى [لا ظهور+لا كينونة] (بطلان)، وعندما هاجر هذه الجماعة وابتعد عنها تحول من [لا ظهور+ كينونة] (سر) إلى [ظهور+كينونة] (صدق). 5-زمان التقييم.

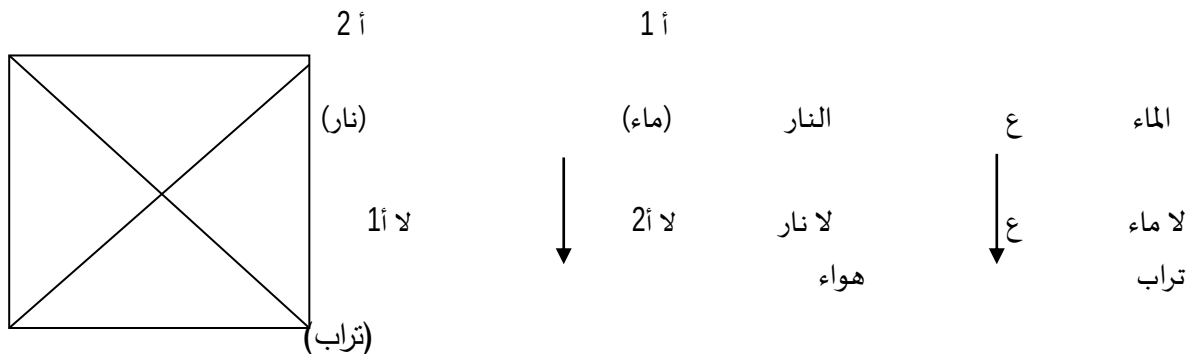
6-تغيرات أو تتابع لواحد أو لآخر من بين هذه العوامل.

ب - المربع السيميائي carré sémiotique

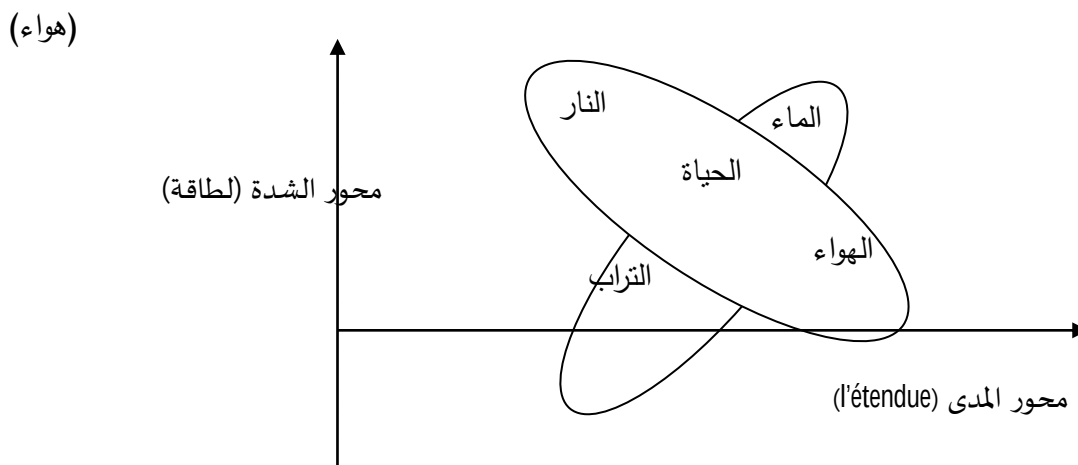
يعد أليجيرداس جوليان قريماس (1917-1992)، مكتشف هذا المربع، وشهرته تتجلى أكثر في نظريته حول المربع السيميائي الذي يشير إلى أن طبيعة العلامات يمكن إدراكها من خلال علاقات تضاد وتناقض. ويتكون هذا المربع من الأجزاء التالية:

- 1- علاقة التناقض بين كل من طرفي التعارض في النص.
- 2- علاقة الإثبات القائمة في الطرفين المتناقضين المنفيين.
- 3- علاقة التضاد بين الطرفين الأوليين.

يعرف المربع السيمائي بأنه "نتاج التمثيل المنطقي لتقابل معطى"³⁷ ويعطي لنا جاك فونتاني مثالا يتعلق بالعنصرين المتقابلين: الماء والنار، اللذان (يعتبران من بين العناصر الأربعة المشكلة للكون) ذكرهما ابن سينا، يقول: "بكثرة ماء عين البحر"..."المحيط رياح محبوسة ونار مشبوبة".³⁸ العنصران اللذان ذكرهما فونتاني يعتبران متناقضين و يدخلان في نمطين قيمين متقابلين بالنسبة للأرض والهواء، وفي هذه الحالة يكون التراب مناقضا للماء. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يكون الماء مناقضا للنار، ويرسم فونتاني هذه العناصر على الشكل التالي³⁹:

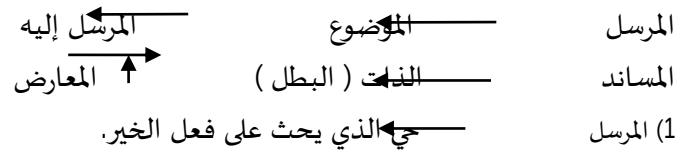


وهذه المقابلة وضعت بناء على تحليل سيميائية العالم الطبيعي عند الفلاسفة ما قبل سقراط حيث تحتل فيه النار مكانة مرموقة لها طاقة عالية ومجال ضيق ،والماء له طاقة عالية أيضا ومدى أو مجال واسع ويظهر على الشكل التالي:⁴⁰



وثانياً: نشير أيضاً على أن الدراسات السيميائية تركز على عنصرين إثنين رئيسيين هما "الحالات" états و"العوامل" les actants وتعتبر الحالة في النظرية السيميائية عن "الكينونة" être ، وعن "الملك" avoir ، أما العامل أو الفاعل - كما يمكن دراسته في " التحديدات على مستوى سيميائية الشخصيات" فإنه يعني في الاصطلاح النقدي السيميائي، كل قائم بالفعل أو خاضع له سواء أكان من الكائنات، أو من الأشياء، أو من المفاهيم، وسواء أكان فردياً أو ثنائياً أو جماعياً، ويعد العامل نموذج وحدة تركيبية ذات طابع شكلي خالص سابقة على كل استثمار دلالي و/أو إيديولوجي⁴¹ وتظهر أهمية وقيمة هذه العمليات بوضوح أكثر في نموذجين وضع أسسهما قريماس وهما⁴²

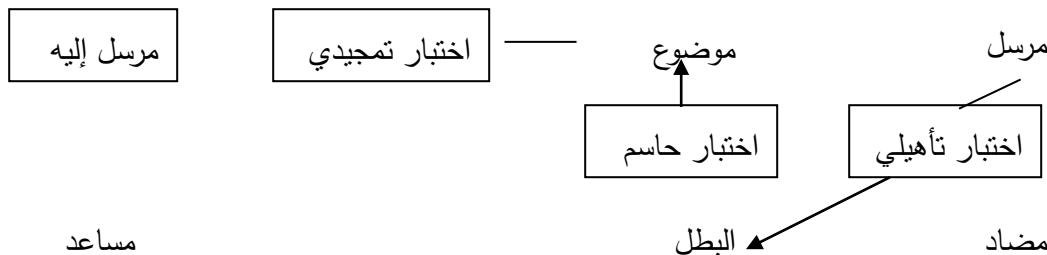
(1) النموذج العاملي modèle actanciel وهو جهاز يمكنه أن يحلل الفعل إلى جوانب facettes و يقترح قريماس من خلاله ستة عاملين تربطهم علاقات (يمكن للعامل أن يكون لا إنسان مثال: النفس، الظبية، النار، المرأة...



- (1) المرسل إليه (الرفقة) (الشهوات)
(2) المرسل إليه (الرفقة) (الشهوات)
(3) المرسل إليه (الرفقة) (الشهوات)
(4) المرسل إليه (الرفقة) (الشهوات)
- (2) النموذج الوظيفي modèle fonctionnel الذي يقترح قانوناً للحكاية من خلال (سيرورة الأعمال النموذجية تسمى وظائف تكون لها بداية ونهاية terminus a quo و terminus a quem ويمثلها قريماس على الشكل التالي:

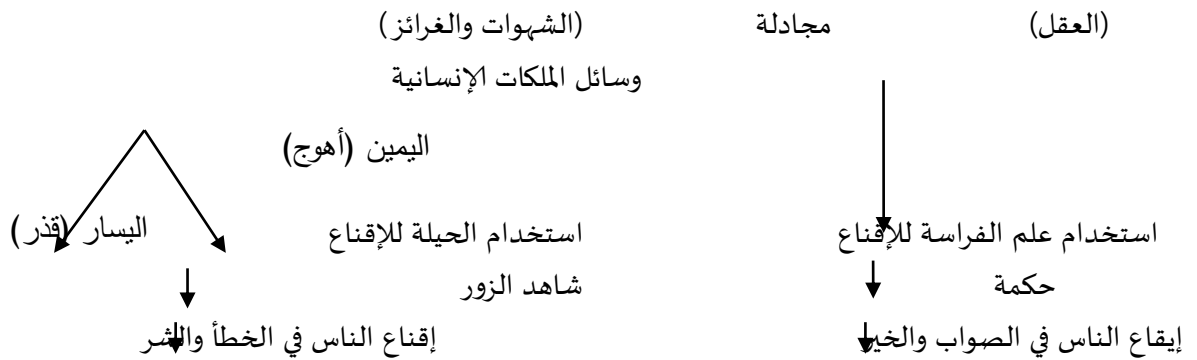
وضعية مبدئية	الاختبار التأهيلي	الاختبار الحاسم	الاختبار التمجيدي	وضعية نهائية
-----------------	----------------------	--------------------	----------------------	-----------------

بالخطة التالية:

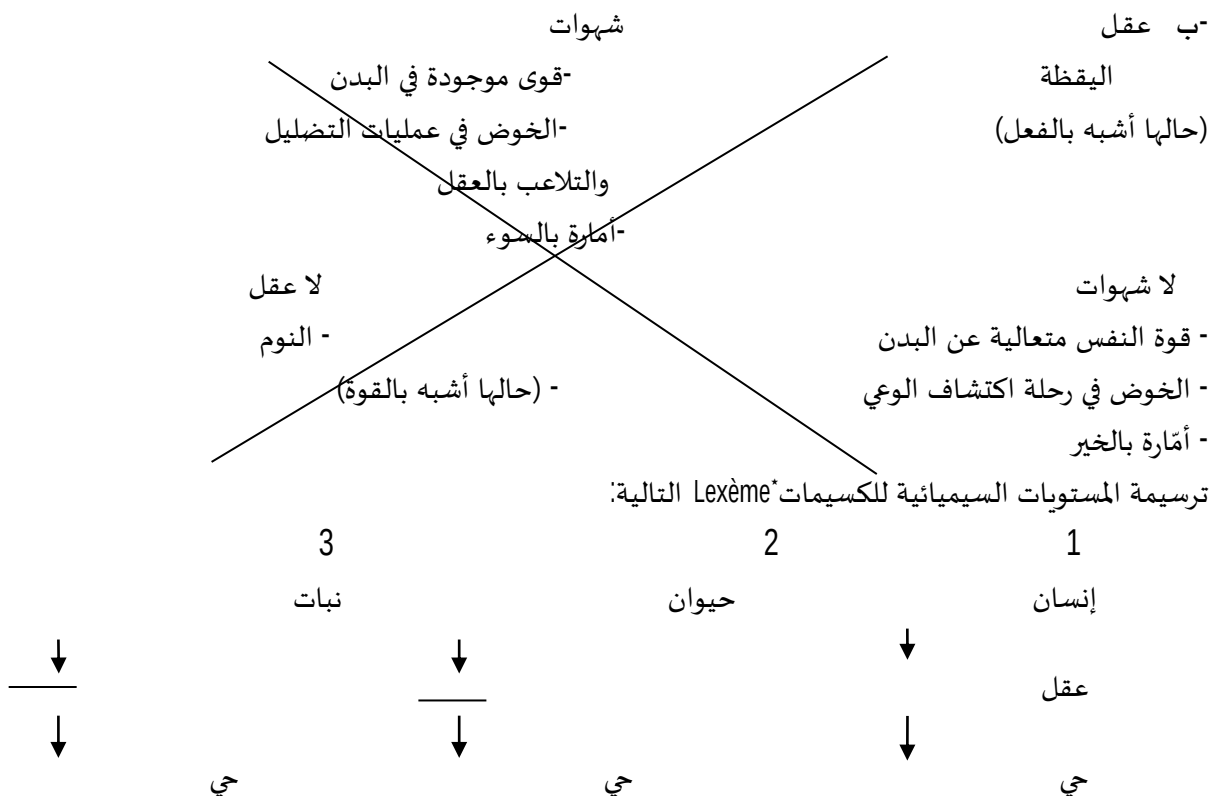


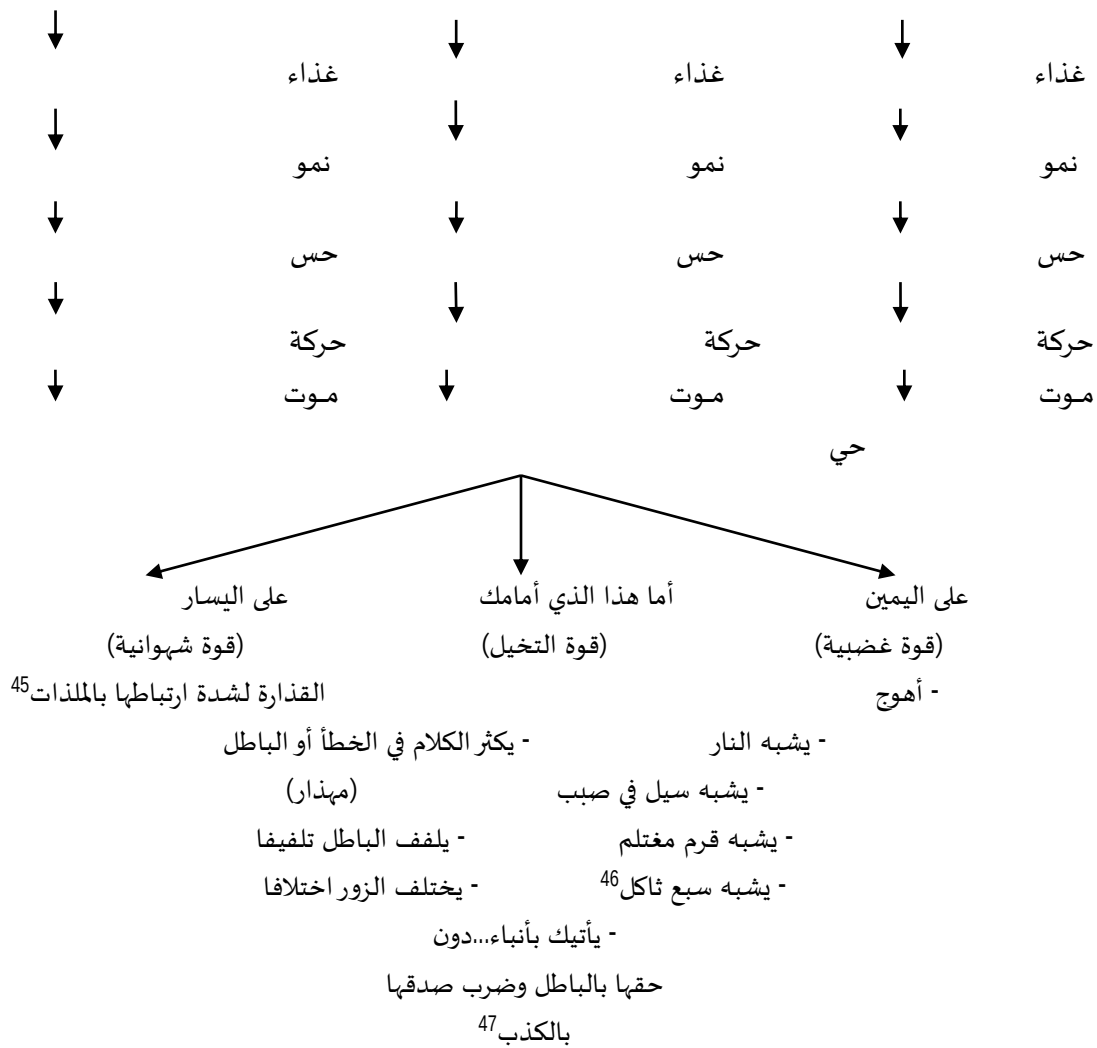
ومن بين القضايا الأخرى التي يمكن دراستها في إطار هذه الأمثلة التطبيقية، والتي نهدف من وراءها الغوص في معانيها ومعالجة ميتالغويتها - ومن زاوية النظر هذه، " فإن السيميائية تتحدد كلغة ثانية بالنسبة إلى عالم المعنى الذي تتخذه موضوعاً للتحليل"⁴³ - نجد الخطاطات التالية:

أ- حي بن يقظان ← ب- جماعة الرفقاء

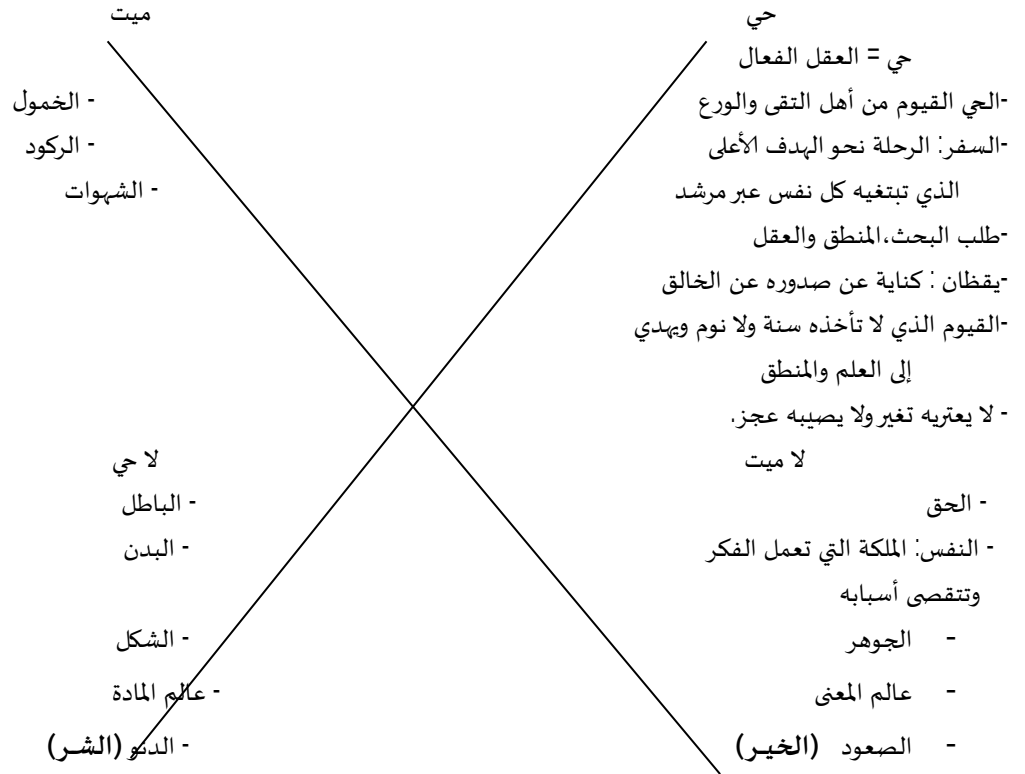


الصحة بهؤلاء الرفاق لا يمكن التخلي عنها لأن الإنسان ليس عقلاً فقط بل هو إحساسات ومشاعر، ولا يمكنه أن يعيش في عزلة، إن هذه الجماعة وما تدل عليه، لا زالت مرافقة له مادام الروح باقية في الجسد (=الروح =العقل و البدن=الشهوة) ولا يمكن لهذه الأخيرة " أن تخضع لحكم العقل خضوعاً تاماً مادامت الحياة، لكن يمكن بالمجاهدة قمعها والتغلب عليها لا إماتها " ⁴⁴ هذه الفكرة بالذات هي التي أدت بالدراسات السيميائية الحديثة إلى إدخال البعد العاطفي مقتنعة بالدور الذي تلعبه في إنتاج التمثيلات الثقافية المختلفة والتي تثرى ضمن تخصص حديث يسمى "سيميائية العواطف أو الأهواء".





وينصح البطل هؤلاء الرفقة بمفارقة المادة والجسد، والتعالي عن الصغائر، والترفع عن الشوائب بل "يؤكد على ضرورة الاقتراب من العالم العقلي المنزه عن أن يكون موصلنا لأمثال تلك القوى"⁴⁸ والاقتراب من هذا العالم لا يكون عن طريق الحدس بل بالتعالي التدريجي مستعينا بفكرة ذكائه للوصول إلى فهم ثلاثة عوالم عالم الأشكال (الأرضية)، وعالم الأشكال (المادية)، وعالم الأشكال (العلوية)، يقول ابن سينا: "حدود الأرض ثلاثة حد يحوزه الخافقان وقد أدرك كنهه وترامت به الأخبار الجليلة المتواترة والغريبة يجل ما يحتوي عليه، وحدان غريبان، حد المغرب وحد قبل المشرق ولكل واحد منهما صقع قد ضرب بينهما وبين عالم البشر حد محجور لن يعدوه إلا الخواص منهم المكتسبون منه لم يتأت للبشر بالفطرة."⁴⁹ ومع ذكر خصوصيات وصفات هذه الحدود والعوالم المادية وكيفية التحرر منها حيث "لا يبريك عنهم إلا غربة، تأخذك إلى بلاد لم يطأها أمثالهم"⁵⁰ وفي قصة ابن سينا تكون المقابلة كالآتي:



خاتمة الدراسة

أفضت بنا هذه الدراسة إلى محاولة الإجابة عن بعض الأسئلة التي تخص تطبيق المنهج السيميائي على النص الفلسفي، بقيت تحديدات سيميائية أخرى يتعذر تقديمها، لأن المقام لا يتسع للتطرق إلى كل الآراء في أصولها و تشعباتها مثل تلك المتعلقة بـ "سيميائية المكان" و "سيميائية الشخصيات" و "سيميائية العنوان" ، و "سيميائية الأهواء"... هذا و قد كان سعينا وراء هذا العمل صياغة محاور رصدنا فيها أهم المحطات المتعلقة بالقراءة السيميائية التي تبني استراتيجياتها العلمية على المرجعيات الفلسفية واللغوية. وقد استوقفنا في هذا التحليل عناصر تدخل ضمن الدائرة المعرفية لأنها تحمل "رسالة". و ضمن الدائرة السيميائية لأنها تحمل نظام منهجي علاماتي- رمزي. وضمن الدائرتين تم الوقوف على مفاهيمها ومقارباتها الإجرائية، بالإضافة إلى مقارنتها بمجالات أخرى أثارت مجادلات منهجية في الحقل الفلسفي والسيميائي.

إن البحث في المنهج هو استثمار تجربة علمية تتطلب، من دون شك، العديد من الدراسات النظرية والتطبيقية في مجالات مختلفة، والبحث الدؤوب الجاد لخلق الحافز الذي ننطلق منه للوصول إلى نتائج تقترب أكثر فأكثر من الصحة والصواب.

إحالات البحث

¹ – Jacques Fontanille, *Pratiques sémiotiques*, 1^{ère} édit, P.U.F, 2008, p.2.

² - أنظر: رسائل الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا في أسرار الحكمة المشرقية، رسالة حي بن يقظان، تصحيح وشرح ميكائيل بن يحي المهرني ، مطبعة بريل، ليدن، 1889، ج1.

وإلى هذه الطبعة سنحيل في هذه الدراسة، وفي كل مرة نشير إلى القصة بـ: "حي"

*- كتبت قصة "حي بن يقظان" من طرف أربعة فلاسفة: كتبها الفيلسوف أبو علي الحسين بن سينا وجاراه فيها ابن طفيل، وابتدع شهاب الدين السهروردي حيث قدم صورة جديدة لهذه القصة سماها "الغربة الغربية" بما يوائم فلسفة مدرسة الإشراقيين: (أنظر: سامي الكيالي، السهروردي، من سلسلة نوابع الفكر العربي رقم 13، دار المعارف، الجزائر، 1955). كما نجد أيضا نفس القصة عند أبو الحسن علاء الدين بن أبي القرشي الدمشقي الملقب بابن النفيس سماها "رواية حي بن يقظان عن فاضل بن ناطق" (أنظر كتاب يوسف زيدان، حي بن يقظان النصوص الأربعة وميدعوها، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2008).

³ – J. Courtés, la sémiotique du langage, A. Colin, Paris, 2007, pp.6-7.

⁴ - أ.د رشيد بن مالك، مقدمة "بحوث سيميائية"، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، العددان 3 و 4 / جوان – ديسمبر 2007، ص. 5-6.

⁵ - M. Arkoun, pour une critique de la raison islamique, Maisonneuve et Larose, Paris, 1984, pp 336-348.

⁶ - Ibid., p.335.

⁷ – Denis Bertrand, « sémiotique des discours et lectures des textes », in Langue Française n° 61, Volume 61, 1994, pp 9-10.

⁸ - A.M.Goichon, la philosophie d'Avicenne et son influence en Europe médiévale, 2^{ème} édit, librairie d'Amérique et d'Orient, A.Maisonneuve, Paris, 1979, p.131.

⁹ - ت.ج. دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد عبد الهادي أبو ريده، ط4، الدار التونسية للنشر، تونس، 1980، ص. 259، الإحالة. رقم 16.

¹⁰ - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط3، دار الثقافة، بيروت، ج.3، 1981، ص.3.

¹¹ - رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص. 305.

¹² - F.De Saussure, Cours de linguistique générale, édits Talantikit, Bejaïa, 2002, p.135.

¹³ - J.Fontanille, sémiotique du discours, 2^{ème} édit, P.U.Limoges, France, 2003, p.51

¹⁴ - نبيلة إبراهيم، فن القصص بين النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، القاهرة، 1992، ص. 42.

¹⁵ - أحمد طالب، الفاعل في المنظور السيميائي، دار الغرب للنشر، وهران، 2002، ص. 27.

¹⁶ - أ.لاند، الموسوعة الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه حصرا أحمد عويدات، ط2، منشورات، عويدات، بيروت-باريس، 2001. المادة "تناقض"، ص. 222.

¹⁷ - محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004، المادة: "تناقض"، ص. 61.

¹⁸ - TzevetanTodorov, Poétique de la prose, édits du seuil, Paris, 1978, p.176.

¹⁹ - ابن سينا، حي، سبق ذكره، ص. 1.

²⁰ - المصدر نفسه، ص. 2.

²¹ - نفسه، ص. 3.

²² - ابن سينا، حي، الهامش (b)، ص. 2. بتصرف

²³ - المصدر نفسه، ص. 3.

²⁴ - J.courtés , la sémiotique du langage, op.cit. p.9 .

*- يعني الاتجاه الأول (النسقي) مجموع العلاقات بين عناصر الكلام، كأن نقول كذا وكذا...وكذا، وهي تمثل محور المزج أو الجمع
c'est l'axe de la combinaison

- ويعني الاتجاه الثاني (الاستدلالي) مجموع العلاقات بين عناصر الكلام، كأن نقول كذا أو كذا...أو كذا وهي تمثل محور الاختيار
C'est l'axe de la sélection

²⁵ - Louis Milligo, introduction à la lecture sémiotique, préface de J. Fontanille, l'Harmattan, Paris, 2007, p. 19.

²⁶ - ابن سينا، حي، ص. 1-2.

²⁷ - نفسه، ص. 3.

²⁸ - نفسه، ص. 10.

²⁹ - نفسه، ص. 14.

³⁰ - Louis Milligo, introduction à la lecture sémiotique, op.cit, p. 19.

" L'axe syntagmatique est une articulation conforme à la linéarité des états et des transformations qui caractérisent la successivité dans le déroulement des événements ; et l'axe paradigmatic est un inventaire des unités pertinentes de la narrativité ."

³¹ - ابن سينا، حي، ص. 5.

³² - نفسه، ص. 18-19.

³³ - ج. كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007، ص. 127.

³⁴ - المرجع نفسه، ص. 175.

وقد وظف هذه المنهجية في قصص أخرى مثل "الحيوان ذات الرؤوس السبعة" وهي أسطورة موجودة في ثقافات مختلفة سميت عند الإغريق l'hyndre de lerne وعند المسيح la bête de l'apocalypse، وفي الحكاية الأمازيغية تسمي "تالافسا"، وهي "أشكال خطابية شبه كونية" بتعبير كورتاس ← أنظر: مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، سبق ذكره، ص. 47-48.

³⁵ - Jean François Bordron, vocabulaire des études sémiotiques et sémiologiques, dir. Driss Ablali et Dominique Ducard, P.U de Franche Comté et Honoré Champion (Paris), 2009, pp.16-164.

³⁶ - Louis Hébert, dispositifs pour l'analyse des textes et des images, introduction à la sémiotique appliquée, P.U.Limoges, 2007, p.35.

³⁷ - j.courtés, sémiotique du discours de l'énoncé à l'énonciation, Hachette, Paris, 1991, p.152. *Le carré sémiotique peut être défini comme le produit de l'articulation logique d'une opposition donnée.

³⁸ ابن سينا، حي، ص. 8 و 13.

³⁹ - J.Fontanille, sémiotique du discours, op. cit. p. 59.

⁴⁰ - Ibid, p.75-76.

⁴¹ -Groupe d'Entrevignes, analyse sémiotique des textes, Introduction Théorie-pratique, édits de P.U de Lyon , 1984, p.14.

⁴² - A.J.Greimas, sémantique structurale, P.U.F, Paris, 1966, pp174-185 et 192-212.

⁴³ - جوزيف كورتاس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، سبق ذكره، ص. 57.

⁴⁴ - مصطفى غالب، حي بن يقظان عند ابن سينا، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، 1982، ص. 78.

⁴⁵ - ابن سينا، حي، ص. 5.

⁴⁶ - نفسه، ص. 4-5.

⁴⁷ - نفسه، ص. 4.

⁴⁸ - نفسه، الهامش، ص. 5.

⁴⁹ - نفسه، ص. 7-8.

⁵⁰ - نفسه، ص. 5.

قائمة المصادر والمراجع

1. أ.الاند، الموسوعة الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، تعهده وأشرف عليه حصرا أحمد عويدات، ط2، منشورات، عويدات، بيروت-باريس، 2001.
 2. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ط3، دار الثقافة، بيروت، ج.3، 1981.
 3. أحمد طالب، الفاعل في المنظور السيميائي، دارالغرب للنشر، وهران، 2002.
 4. ت.ج. دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد عبد الهادي أبو ريده، ط4، الدار التونسية للنشر، تونس، 1980.
 5. ج.كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007.
 6. رسائل الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا في أسرار الحكمة المشرقية، رسالة حي بن يقظان، تصحيح وشرح ميكائيل بن يحي المهرني، مطبعة بريل، ليدن، 1889، ج1.
 7. رشيد بن مالك، مقدمة "بحوث سيمائية"، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، العددان 3 و4 / جوان - ديسمبر 2007.
 8. رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2012.
 9. سامي الكيالي، السهرودي، من سلسلة نوايغ الفكر العربي رقم 13، دار المعارف، الجزائر، 1955.
 10. محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004.
 11. مصطفى غالب، حي بن يقظان عند ابن سينا، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، 1982.
 12. نبيلة إبراهيم، فن القصص بين النظرية والتطبيق، مكتبة غرب، القاهرة، 1992.
 13. يوسف زيدان، حي بن يقظان النصوص الأربعة ومبدعوها، ط3، دار الشروق، القاهرة، 2008.
1. A.J.Greimas, sémantique structurale, P.U.F, Paris, 1966.
 2. A.M.Goichon, la philosophie d'Avicenne et son influence en Europe médiévale, 2^{ème} édit, librairie d'Amérique et d'Orient, A.Maisonneuve, Paris, 1979.
 3. Denis Bertrand, « sémiotique des discours et lectures des textes », in Langue Française n° 61, Volume 61, 1994.
 4. F.De Saussure, Cours de linguistique générale, édits Talantikit, Bejaïa, 2002.
 5. J. Courtés, la sémiotique du langage, A. Colin, Paris, 2007.
 6. j. Courtés, sémiotique du discours de l'énoncé à l'énonciation, Hachette, Paris, 1991.
 7. J. Fontanille, sémiotique du discours, 2^{ème} édit, P.U.Limoges, France, 2003.
 8. Jacques Fontanille, Pratiques sémiotiques, 1^{ère} édit, P.U.F, 2008.
 9. Jean François Bordron, vocabulaire des études sémiotiques et sémiologiques, dir. Driss Ablali et Dominique Ducard, P.U de Franche Comté et Honoré Champion (Paris), 2009.
 10. louis Hébert, dispositifs pour l'analyse des textes et des images, introduction à la sémiotique appliquée, P.U.Limoges, 2007.
 11. Louis Milligo, introduction à la lecture sémiotique, préface de J. Fontanille, l'Harmattan, Paris, 2007, p. 19.
 12. M. Arkoun, pour une critique de la raison islamique, Maisonneuve et Larose, Paris, 1984.
 13. TzevetanTodorov, Poétique de la prose, édits du seuil, Paris, 1978.